القيادة والجندية

في

تاريخ الرسول

أنور الجندي

مطبعة التوكل ٣٣٤ ش الخليج المصرى الجاميز مصر

١ - الرسول مع أتباعه

٢ - القيادة

٣ - البيعة

٤ - الجندية

٥ - بين القيادة والجندية

الحياة الإنسانية فى طبيعتها تحتاج إلى نظام تعيش فى ظلاله وكل انسان فى الحياة ، تـكتمل فيه معانى الشخصية ، يرى انه فى حاجة إلى أن يكون لبنة فى بناء ، يؤدى مهمة ، ويخضع بحكم مكانه إلى وضع محدد .

وكثير من الشباب يجد فى نفسه فراغا لا يدرى ماهو إلا أنه حاجة طبيعية إلى أستاذيه وقيادة توجهه وتقوم كيانه ، فيكبر بها مكانه ، ويتقرر وضعه ، ويتحدد مقامه .

والقيادة مشتقة من الأبوة الروحية ، ومن السلطة العملية ومن الرئاسة الاجتماعية ، منهم جميعا ، والانسان مطبوع بالفطرة على أن يكون فردا فى الرعيل ، ولا يمكن انشاء الأعمال العظيمة الا بقيام البناء المكون من اللبنات والبناء ، اللبنات الصالحة لاقامة الصرح الضخم والبناء بيده القوية المتمكنة .

بين القيادة والجندية رباط قوى ، ولا يكتمل لهما معناها ومبناها بغير الجنود ، وليست الجندية فى كيانها إلا تبعية مؤمنة لقيادة صادقة ولا نفع لبرنامج مهما بلغ خطره بغير النفس الزكية التى تقوم عليه .

والجندية مظهر القيادة وعدتها وسلاحها فى تنفيذ أهدافها .

وقد يكون الداعية فى ذاته رجل عظيم الشخصية ، كبير الهمة ، يزلزل الجبال ، ويغير وجه الأرض ولكن الأوضاع الطبيعية تحتم أن يتعاون مع هذه الشخصية الضخمة فريق من الجنود ، فيكون هؤلاء الأتباع والأنصار إطاراً لهذا العبقرى العملاق .

من شأن هؤلاء الجنود أن يكونوا اسناداً وظهيراً وحماية وقوة تدفع بها هذه اليد القوية المؤمنة إلى العمل والى الانتاج وبها تتحين الفرص لتضرب ضربتها القوية ، ومن هذه الجندية يتكون السياج والعيون والغلاف وهى القوة التى يهدد بها صاحب الدعوة ويقذف بها فى نحر العدو ، وهى من العتاد الذى يحرس به القائد مبادئه ودعوته

ثم هى أولا وآخرا الكتلة التى توجه الشعب وتنقله من حال إلى حال ، وتمده بالتوجيه وتتقدمه فى نشر الفكرة فتكون قيادة توجيهه له ولا تكون أبداً ممثلة تابعة

قادة الدعوات : يختلفون عن زعماء الأحزاب ، فهم يجمعون الناس بالتربية والتوجيه ، ويوجهون الجنود إلى ميادين العمل

بالمجاهدة والاحتمال والصبر على الاضطهاد .

أما المتزعمون من رجال الأحزاب فإنما يجتمع الناس إليهم بحكم المصالح والمطامع والمنافع من الانتهازيين الراغبين إلى المناصب والمتمسكين بالامجاد الوهمية ، فاذا انصرفت عنهم القدرة على بذل المال وقضاء المصالح انصرف عنهم الناس إلى من فى أيديهم البذل والقضاء .

هم ليسوا أصحاب مبادىء ولا غايات ، وهم أجبن من أن يتقدموا إلى الناس ببرامج لانهم لا يستطيعون مواجهة الضوء ، ولو وضعوا برامج لعجزوا عن تنفيذها ولكان ذلك سقوطا لمكانتهم وإنما جل اعتمادهم على الهنجعية اللغوية والالفاظ والبراعة وخداع النظر .

هم المستندون إلى الاذناب والجهلة والسوقة وهم الواقفون بالناس عند حدود الجهل لان العلم يكشف للناس حقائق المخادعين وعند الوهم لأن الحقائق تحطم على خداع المضللين .

أما قادة الدعوات ، ودعوات السماء بالذات ، أمثال الرسل ـ ثم المصلحين من ورثة الأنبياء بعد انقطاع الوحى ـ فهم يضيئون

ليحترقوا ، ويعزفون عن الدنيا فلا يقربوها إلا لحاجة الجوع وعلى قدر ستر العورة والتبلغ ، فاذا اجتمع لهم الناس فلا يجتمعون إلا للبذل والجهاد والموت ، يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع ، ولا يجتمع اليوم إلا من كان انسانا وله شخصية ، ممن قد عرف حق الله عليه فى الحياة فاسرع يؤديه ، وعرف أن الجندى مهما بلغت به قوته وعبقريته لا يؤدى للوطن والاسلام حقه إلا وهو لبنة فى بناء دعوة ، وتابعا لقائد موهوب ، والدعوات حجة بين القادة والجنود وبين الدعاة إلى الحق والناس ، فلا مصالح ولا مطامع وإنما هى متاعب ومغارم ومن شأن الدعوات أن تواجه الناس بالنور ، وأن تحكم العقل ، وأن تكشف لرجل الشارع عن حقائق الأمور ، ولا يخاف العلم والضوء إلا كل رجال طاغية يخشى أن يكشف الناس أمره فيظل فى الظلمات والجهل سادراً مقيما . . . ولكن إلى حين

وليس ثمة قيادة إلا فى الدعوات ، القيادة التى تقوم على المبدأ والتى يكون لها من مبادئها وأنصارها عدة وقوة .

وكثير أتباع الدعوات ممن تغريهم المبادىء المثالية ولكن

التجربة لا يثبت لها إلا القليل (فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى إلا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين)

ومن شأن القادة الموهوبين الحصافة والمهارة والقدرة والواحد منهم فى ذات نفسه يستطيع أن يواجه الدنيا بمفرده ويتحداها ويصرف أمرها ولو انصرف من حوله كل اتباعه ، وكذلك كان رسول الله ﷺ وكان من أتباعه وخلفاءه من قاوم السلاطين والدول فاذعنوا له وخضعوا وما أمر العز بن عبد السلام والدردير وغيرهما ببعيد

ومن شأن الأنبياء والرسل والمصلحين أن يكون لهم من الخصوم والأعداء مثل ما لهم من الأصحاب والأنصار وأن كان اشد أولئك قوى فان اخلاص هؤلاء هو الفناء ، الفناء فى الحق ، وتلك سنة الله فى الدعوات وان يجد الناس فى مجتمعاتهم وأحزابهم صورة من

ذلك مثل الحب الذى يقوم بين القيادة والاتباع فى الدعوات ، ذلك الحب العجيب القائم على الايمان القلبى بالمبدأ والاخلاص النفسى للقائد، والاقتناع العقلى بالمنهج والقيادة جميعا، والشعور الصادق الثابت بأن ليس للدنيا صلاح إلا بذلك المنهاج وان ليس لهـذا المنهاج من منفذ الا ذلك القائد الداعية الذى يتخيره الله ويصنعه والذى تنظره الدنيا مدار كل قرن وبين فترة وأخرى من فترات الزمن، حينما تضطرب الأمور وتتحلل الأخلاق وتتجمع الشهوات وتضل القافلة فى الصحراء .

تلك كلمات قليلة قدمت بها عن القيادة والجندية وما قصدت الا ابراز هذا المعنى فى صوره قائمة قريبة ملموسة، وقديما عرف الناس الأمور بالقياس ، والتمسوا صوره التاريخ فى واقع الحياة

ولست ياأخى بفاهم شيئا عن القيادة والجندية مالم تكن جنديا أو قائدا ، تواجه الأمور بالتجربة ، أما هذه الدراسات النظرية فلا شيء وراءها الا سراب الاوهام ولن تكون انسانا الا ولك هدف ولن يكون لك هدف الا وأنت ممثل فى دعوة جامعة ولن تجد دعوة جامعة أوفت على الكمال سواء الطبيعية الانسانية إلا فى

دعوة الاسلام ومنهاجها الاصلاحى .. وهى الآن تسبق الطريق، فالحق بالركب قبل أن تكون من الخالفين

ان القيادة والجندية فيما بين رسول الله وأصحابه لقطعه من الحياة الانسانية العالية الكاملة السعيدة ، هى السلاح الأول لما وصل اليه الاسلام من فتح وتبريز وهى سر هذه المعجزة فى النصر والظفر، وإقامة الامبراطوريه الاسلامية المترامية الأطراف فى قرن من الزمان ؟

الرسول مع اتباعه

بين القيادة والاتباع

يواجه الأنبياء والمصلحون فى هذه العلاقة أدق المواقف وأقواها .. من أمور تحتاج الى كثير من اللباقة واليقظة وحسن التصريف

وقد كان رسول الله يواجه أمور اتباعه بنفسه ويرد على أسئلتهم واعتراضاتهم ، وقد استتبع قيام رسول الله على الدعوة أن يكون هو المرجع الأول والأخير فى جليلها ودقيقها ، حتى ان الانصار والأتباع كانوا لا يجدون من أحد من دونه أسباب الاقتناع والقبول .

ولم يضق رسول الله بهذا وان أرهقه فهو صاحب الدعوة وطبيعة الدعوات أن تكون كذلك، وأن يكون القائد هو نجمها القطبى وحجر رحاها ، واليه وحده ترنوا القلوب، ومنه وحدة تستمد السكينة والرضى والتوجيه

وقد يصل رجل له مكانته فى الدعوة كأبى بكر الى مقام

الرجل الثانى فى الدعوة الاسلامية ، ولكن ذلك لايغير أبدا من موقف الناس من صاحب الدعوة الأول فهو إلى أن يختار الرفيق الاعلى قبلة الانظار..

وليس غيره كائنا ما بلغ أبى بكر من قدر جليل ما يغنى عن مقامه

وكما تبتلى القيادة بالخصوم فهى تبتلى بالاتباع وتمتحن بالأنصار ، وتتكشف الأمور عن تقدير صحيح لمقام القيادة من الاتباع ، والاتباع من القيادة

وقد كان ﷺ يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن ينطوى على شر لأحد منهم ويتغافل عما لا يحب ولا يواجه أحداً بما يكره ويكشف لهم عن أخطائهم ومواضع الضعف فيهم دون أن يفقدهم حبه أو يحط من كرامتهم ، وينفذ رغبته دون اظهار سلطته .
وقد أدى ذلك الى أن وصل الاتباع فى فهم القيادة كحق والجندية كواجب الى حد الكمال ، نعم . أدى ذلك الاطمئنان الى كفاية القائد واخلاصه أن أصبح كل منهم يعتبر الأوامر التى تصدر اليه

من القيادة قاطعة لا مجال للجدل فيها أو التردد أو الانتقاص أو التحرير

بل وبلغ الأمر الى أكثر من ذلك فقد فرض أصحاب رسول الله فى أنفسهم الخطأ وفى القيادة الصواب اذا تعارض ما يأمر به مع ما يعلمون

ولم يقف هذا عند رسول الله بل تعداه بحكم انتقال القيادة الى الصديق والفاروق ومن جاء بعدهما ..

ووضع الأصحاب والأتباع ظروفهم تحت تصرف الدعوة وجعلوا للقيادة الحق فى الترجيح بين مصلحتهم الخاصة ومصلحة الدعوة العامة

ولقد هاجر عثمان وهو الغنى الميسور مع زوجه رقية ابنة رسول الله الى الحبشة وخلف من وراءه كل ما يملك دون معارضة أو مراجعة

وهاجر مثله الكثيرون فى الهجرتين إلى الحبشة وإلى المدينة .

وقبلوا قضاء رسول الله فى الحديبية على ما فى أنفسهم من كراهية لموقف قريش ، وما فى قلوبهم من رغبة إلى القصاص ،

فقرضوا فى أنفسهم الخطا وفى قيادتهم الصواب حتى تبين لهم من بعد صواب رسول الله فى توقيع ميثاق الحديبية المبارك وقبلوا أمر رسول الله دون جدل أو تردد

دعا رسول الله (عبد الله بن جحش) حين صلى العشاء وقال له

واف مع الصبح ومعك سلاحك أبعثك وجها : قال فوافيت مع الصبح وعلى سيفى وقوسى وجعبتى ومعى درقتى فصلى النبى بالناس الصبح ثم انصرف فيجدنى قد سبقته واقفا عند بابه وأجد نفراً من قريش ثم دعانى فأعطانى صحيفة من ادم وقال قد استعملتك على هؤلاء النفر فامض حتى اذا سرت ليلتين فانشر كتابى ثم امض لما فيه ولا تستكره أحدا من معك .

عامل المنافقين بأسلوب الحكمه والمدارة

فقد جاءه المخلفون عن تبوك من المنافقين طفقوا يعتذرون إليه ويحلفون وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله

فلما جاءه المؤمنون المتخلفون وسلم عليه أحدهم تبسم تبسم المغضب

وقال ما خلفك .. قم حتى يقضى الله فيك وفى اخوانك ونهى رسول الله المسلمين عن كلامهم من بين ما تخلف عنه فاجتنبهم الناس وتغيروا لهم خمسين ليلة

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين أرسل رسول الله اليهم أن يعتزلوا نساءهم

وبقى أمرهم كذلك حتى أنزل الله توبته (لقد تاب الله عن النبي والمهاجرين والأنصار) إلى قوله (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أنه لا ملجأ من الله إلا اليه ، ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم)

عامل الرسول اتباعه بالتسامح والتوجيه معا وساس هذه القبائل بالحكمة والحسنى حتى تأتى له أن يتصرف فى مصير هذه الآلاف.

أخذ الأعرابى الذى أنكر إحسانه اليه بالحكمة وأدخله إلى داره وزاده وطلب اليه أن يقول بين الصحابة ما يحسن رأيهم فيه بعد أن سبق بالأمس إلى الخطأ والأساءة ويقول رسول الله معلقا على هذا الحادث أن مثلى ومثل الأعرابى كمثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها

الناس فلم يزدها ذلك إلا نفوراً فناداهم صاحبها : خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم ، فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الأرض فردها حتى جاءت واستناخت ، وشد عليها رحلها واستوى ، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل قتلتموه دخل النار وتلك هي القيادة الحكيمة تأخذ الأمور بالعلاج بينها وبين أصحابها ثم لا تطلع الناس الا على جانب الخير منها . وكما أحسن إلى أصحابه وأتباعه أحسن إلى خصومه من المنافقين والكفار وقال حين طلب اليه أن يلعنهم : لم أبعث فاحشا ولا متفحشا ولا لعانا ولا سخابا بالأسواق وإنما بعثت هاديا ورحمة . وعفا عن الرجل الذي رفع السيف فوق رأسه وهو نائم وقال لعمر عند ما أشار بقتل عبد الله بن أبي أتريد أن يقول الناس أن محمداً يقتل أصحابه

كان رسول الله أشد الناس تقديراً لأصحابه في الغيبة والحضور ، يقول لأصحابه وهم عائدون من غزواتهم ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيراً ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم العذر .

يصرف الأمور حسب ظروف الدعوة ومراحلها يقول

أبا زر دخلت على النبي فقلت له أعرض على الاسلام فعرضه فاسلمت مكانى فقال لى يا أبازر اكتم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فان بلغك ظهورنا فاقبل ، فقلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين أظهرهم .

يعرف مقاتل الرجال ، فيحبس أبا سفيان عند خطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين وقد جعلت القبائل تمر كتيبة كتيبه وأباسفيان يسأل العباس ، من هذه فيقول هذه غفار ، هذه جهينة فيقول مالى ولغفار مالى ولجهينة ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها قال من هذه قال هؤلاء الأنصار عليهم سعد بن عبادة ومعه الراية فأخذ أباسفيان وقال : لقد أصبح ملك ابن أخيك ياعباس الغداة عظيما

يتخير الاتباع للدعوة فى أوقات الجرح والمحنة ، فيقول اللهم أعز الاسلام باحب العمرين اليك : عمرو بن الهشام أو عمر بن الخطـــاب

يصرف الأمور ويلجأ الى الله ويعد العدة ويسأل الله النصر فى مواقف البأس يقول :

اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبه بن ربيعة وشيبة بن ربيعة

والوليد بن عتبة واميه بن خلف وابن ابى معيط وعمارة بن الوليد
ويقول اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى

وفى مراقف الرحمة يقول :

اللهم أذقت أول قريش نكالا فاذق آخرهم نوالا

اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون

وفى الأزمات يلجأ إلى الله فيقول

اللهم اليك أشكوا ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى، أم الى عدو ملكته أمرى ، إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك أوسع لى ،أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك أو يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك

يثبت قلوب اتباعه بقوة يقينه وثقته فى نصر الله له وتأييده فيقول لعمر حينما دخل عليه الغرفة ورأى أثر الحصير فى جنبه

الشريف : أفي شك أنت يا ابن الخطاب ويقول لعدي وقد شكا إليه الفاقة وقطع السبيل: أرأيت الحيرة قال نعم قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً الا الله ، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله فلا يجد أحدا يقبله منه .

ولا يمنع ذلك القول المعزى لعدى من أن يقول الرسول لخباب قولا غير ذلك يتناسب مع فوارق الشخصية والظروف

عن خباب : شكونا إلى النبي وهو متوسد برده في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة : فقلت ألا تدعوا الله فقعد وهو محمر وجهه : قال كان الرجل فيما كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحمه من عظم وعصب وما يصده ذلك عن دينه .. والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضر موت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون .

القيـــــادة

يغمز بعض الناس لنظام القيادات والاتبـاع فى الدعوات فيرون فيه رأيا ، هو أن هؤلاء الأنصار والاتباع ليسوا من كمال الشخصية وقوة الذاتية بالقدر الذى يسمح لهم بالاستقلال وانهم نتيجة لضعف نفسى اضطروا أن يكونوا لبنة فى بناء ضخم أوجنوداً فى ركب فخم ، ليظهروا اسمهم وأنهم لوكانوا من القوة والـكمال بالقدر الذى يملأ نفوسهم ثقة لـكانوا قادة وزعماء ولم يكونوا جنودا ولا اتباع .

وهذا قول مردود ولاشك فى اضطرابه وخطأه، اذ أنه ليس للقطار الواحد أكثر من سائق وليس كل راكب يستطيع أن يـكون ربانا ، ولو استطاع كل فرد أن يكون زعيما أو مصلحا ، على ندره وجود المصلحين والزعماء ، وترقب الناس لهم جيلا بعد جيـل فليس كل مدع للزعامة أوالقيادة يستطيع أن يكون مصلحا أو زعيما . ولو تأتى ذلك لانهار النظام الاجـــتماعى ولتصدع . ومن شأن النظام الاجتماعى أن يكتمل جزئية : قيادة وجندية ،

ولا يهرب من الجندية تحت لواء الدعوات الا شذاذ الأفراد الذين ركبت فى نفوسهم طبائع مضطربة لا تفهم حقائق الامور أو تمنع من أخذ الأمور على أوضاعها الصحيحة ، مثل هذه النفوس الغريبة ، تتمرد على كل نظام وتتجافى كل اصـــلاح ، وتتنكر لـكل نهضـة

وليست القيادة والجندية الا قانونين صحيحين من قوانين الاجتماع والهيئة والـكون وحاجة طبيعية نفسية لامعدى عنها ، وهى فى ذاتها متفقة منتظمة مع الطبيعة والفطرة

أما القيادة فلا تـكتسب جلالها وكمالها من تسلطها أو ادعائها وإنما تأخذ مكانها بقوتها الذاتية وقدرتها على اقناع من حولها

وقد دعا رسول الله فى بيئة عرفت بالجفاف والقسوة وبين جبابره عتاة غلاظ ، بلغ حرصهم على مخلفات الاباء وبلغوا فى خصومتهم له قدراً كبيرا ، فلم يكسب مكانه الا بالصبر والتضحية والجهاد الدائب من ذات نفسه ومن ذوات أصحابه ، وأن الجندية المؤمنة لا بد أن تجد ـ وانها الواجده ـ لواجده فى قيادتها السبق فى التضحية وبلاغه الصبر قبل أن تؤمن بالبذل واحتمال الاضطهاد القلوب

لقد جعل رسول الله دعوته ملجأ عالج فيه المرضى ، وروض المتوحشين ، وهذب الجامحين ، ونقل النفوس من وضع الى وضع ، واستطاع أن يحول نفوسا وصلت إلى حد الاستقرار ، فجعلها لدنه سريعة الانتقال عما ورثت وعرفت وعاشرت وعاقرت فى فجر صباها وشبابها ، وقد كان بعض الناس يظن أن الناس لا يصلحون للتحول والتوجيه إلا فى ميعاد معين من السنين والأعوام

وقد احتمل فى سبيل دعوته جفوة الأعراب وأذى قريش وجدال اليهود ودسائس المنافقين ومكر أبى جهل فى مكة وابن أبى فى المدينة .

دخل وفد تميم المسجد قبل الظهر ورسول الله فى بيت عائشة وقد أذن بلال والناس ينتظرون الصلاة . فنادوا يا محمد أخرج الينا ، وشهروا أصواتهم وخرج الرسول وأقام بلال الصلاة فتعلقوا به يكلمونه فوقف معهم مليا ، ثم مضى فصلى بالناس الظهر .

بمثل هذا الخلق السجيح وسع الرسول الناس وجمع اليه القلوب

قال لأهل مكة حين ظنوا أنه إنما يطلب بدعوته شرفا أو سلطانا فيهم .

ياقوم ما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل إلى كتابا وأمرني أن أكون بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم . .)

بمثل هذا القول جمع رسول الله قلوب الجنود الفدائيين اليه وأقام صرح القيادة عاليا عزيزا

كان رسول الله يدع لأصحابه بعض الأمور فلا يرى فيها إلا رأيهم فيقول لوفد هوازن أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم وأسأل لكم الناس فاذا صليت فقولوا كذا وكذا .

فلما قالوا سأل الناس لهم وبدأ بنفسه وأهله .

ولما استجارت زينب لزوجها بالمسلمين ترك الأمر إلى أصحابه وقال ان المسلمين يجير عليهم أدناهم .

وقد جمع إلى ذلك السماحة والبساطة التي تأسر القلوب وتملأ

الأرواح بالرضى والإطمئنان .

يقول أنس : كنا مع النبي فى سفر منا الصائم ومنا المفطر فنزل منزلا فى يوم حار فسقط الصوام وقام المفطرون ، فضربوا الأبنية وسقوا الركاب فقال ﷺ : ذهب المفطرون اليوم بالأجر . وقد بلغ من بساطته ورغبته عن ألا يتكلف قومه من الأمر ما يجهدهم أنه كان يدع العمل وهو يحب أن يعمله خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم

وقد غضب على أصحابه الذين مالوا إلى العزلة . .

وقال أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم لله ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى . .

وهو الذى يقول : إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم .

وكان يحرص دائما على مكانة أصحابه فيقول : ليلنى منكم أولوا الأحلام والنهى . .

X وقد بلغ الأمر فى الخصومة بينه وبين قريش حداً لم يصل يوماما بين فريق وفريق فقد القوا عليه التراب وحاولوا قتله واتهموا زوجه بالافك واتهموه بأنه ساحر وكذاب ومجنون ، وسقوا أصحابه كؤوس العلقم خلال ثلاثة عشر حجة ومع ذلك فلما أن أمكنه الله منهم عفا عنهم . .

وهو إلى هذا الخفض فى الجناح للمؤمنين يعيش فقيرا وتطحن ابنته فاطمة بالرحى حتى تدمى كفيها وتسأل خادما فلا يعطيها .

وقد كان حدبه على تباعه حدبا عجيبا ، وفى غزاه ما ، مر من مضيق فوقف لاصحابه حتى يمروا وهو ينفح ظهورهم ويقول مروا باسم الله اللهم احمل عليهم فى سبيلك فانك تحمل على القوى والضعيف والرطب واليابس والبر والبحر

وينادى فى الناس فى مرضه الأخير فيقول ياأيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهرى ، فليستقد منى ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليستقد منه ، ومن أخذت له مالا

فهذا مالى فليأخذ منـه ولا يخشى الشحناء من قبلى فانها ليست من شأنى .

يمثل هذا الوفاء فى صوره المتواترة المتوالية الضخمة قامت هذه القيادة وزحفت على القلوب فاحتلت فيها مـكانا ضخما ، ظل يقوى ويكبر حتى لم يعد هنـاك شيء آخر يزاحمـه فى ملك القلوب .

والأمر فى الجنديه كما قلنا من قبل إنما يرجع الى قوة القيادة وصدق جوستاف لوبون حيث يقول لولم يكن محمد مؤمنا برسالته لعجز عن حمل الناس على تصديقها ولم يكن رسول الله الى ذلك كله الا مثالا للقائد القوى الذى تجد الجندية فى كنفه حماية وملاذا كان رسول الله إذا اشتد الباس أقرب ما يكون الى العدو ، وهو نفسه الذى يقول للمسلمين فى عمره القضاء مشمرا عن ساعده : رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسـه قوة ثم يهرول ويهرول المسلمون معه فى الأشواط الثلاث الأول

وهو نفسه الذى يقول والذى نفسى بيـده لقد هممت أن آمر بحطب يحطب ثم آمر بالصـلاة فيؤذن لها ثم أخالف إلى

بيوت فأحرقها على أصحابها

وهو رسول الله الذى يقول لجنوده فى الغزوات إذا أعطيتم فلا تعطوا ذمة الله ولا ذمة رسوله وإنما أعطوا ذمتكم فانكم أن تخفروا ذممكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله .

وهو الذى يخرج أهالى يثرب عند ماسمعوا الصوت الذى أفزعهم، فيرونه عائداً على فرس عري وفى رقبته حمالة سيفه.. وهو يقول : لن تراعوا

وهو الذى يمر بالوليد بن المغيرة وامية بن خلف وابى جهل والدين فى أوله ، فيهمزوه ويستهزؤا به فيواجههم بما يذهب لبهم من عبارات كلها القوة والشجاعة ..

تلك هى القيـــادة ...

وهـذه هى أسباب فناء الاتباع فى الوفاء لها وتقديم أنفسهم فداء لهـا ...

البيعة ..

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » جعل الله رسوله فى اللفظ بدلا عنه وفى الحكم مقامه، والبيعة هى الرباط بين القيادة والجندية باسم الله وهى العقد الدائم بين المصلحين والدعاة إلى الله وبين العاملين معهم « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم »

ومن شروط البيعة الولاية ومن شروط القيادة التولى .

ويقول رسول الله ﷺ فى ذلك (ما من مؤمن إلا وأنا أولى به فى الدنيا والآخرة ، أقرأوا إن شئتم النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، فأيما مؤمن مات وترك مالا فلورثته ومن ترك دنيا فليأتنى فانا مولاه)

وأظهر بيعتان فى عهد رسول الله هما بيعة العقبة وبيعة الرضوان .

بيعة العقبة

وروى المؤرخون أمر البيعة الكبرى هكذا :

وأعدهم رسول الله إذا هدأت الرجل أمر أن يوافوه فى الشعب الأيمن إذا انحدروا من (منى) بأسفل العقبة وأمرهم ألا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ، فخرج القوم بعد هدأة يتسللون ، الرجل والرجلان ، وقد سبقهم رسول الله الى الموضع معه العباس ابن عبد المطلب . ليس معه أحد غيره فكان أول من طلع على رسول الله رافع بن مالك الزرقى ثم توافى السبعون ومعهم امرأتان فتكلم العباس فقال : انكم قد دعوتم محمداً إلى ما دعوتموه اليه ومحمد من أعز الناس فى عشيرته ومنعه فى بلده ، وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون أنكم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه لأنه فى عز ومنعة من قومه و بلده

ثم تلى رسول الله القرآن ودعاهم إلى الله ورغبهم في الإسلام وذكر الذين اجتمعوا له . ثم تكلم بعد ذلك أبا الهيثم بن التيهان وأجاب إلى ما دعا اليه رسول الله وصدقه وقالوا نقبله على مصيبة الأموال وقتل الأشراف .

ولغطوا . . . فقال العباس وهو آخـــذ بيد رسول الله : احفظوا جرسكم فان علينا عيونا . وقدموا ذوى أسنانكم فيكونون هم الذين يلون كلامنا منكم فانا نخاف قومكم عليكم ، ثم إذا بايعتم فانصرفوا إلى محالكم فبايعهم رسول الله (على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكرة وأن نقول الحق أين كنا ولا نخاف فى الحق لومة لائم ، ثم بايعهم رسول الله على أن يمنعوه مما يمنعون منه نسائهم وأبنائهم

وقال زعيم الخزرج : يامعشر الخزرج اعلمتم علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم إذا انهكت أموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتوه ، فمن الآن فدعوه فهو والله إن فعلتم خزى الدنيا والآخرة .

وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة

فأجاب القوم : إننا نأخــذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فالنا يارسول الله ان نحن وفينا بذلك قال رسول الله : الجنــة .

ومدوا اليه أيديهم فبسط يده فبايعوه ، وكان أول من ضرب على يد رسول الله البراء بن معرور

قال الرسول : أخرجوا لى اثنى عشر نقيبا يكونون على من فوقهم وأن موسى أخذ من بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا فلا يجدن أحد منكم فى نفسه أن يؤخذ غيره ، فلما اختارهم قال : انفضوا إلى رحالـكم .

قال سعد بن عباده : يارسول الله والذى بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن غدا على أهل(منى)باسيافنا وما أحد عليه سيف تلك الليلة غيره

قال الرسول لم نؤمر بذلك فانفضوا إلى رحالـكم

بيعة الرضوان

أرسل رسول الله عثمان ليتفاهم مع قريش فلما طال مكثه وقد بلغه أنه قتل قال : إن الله أمرني بالبيعة فاقبل الناس يبايعونه حتى تدالوا ، فما بقى لهم متاع الا وطئوه ثم لبسوا السلاح وهو معهم قليل ، وقامت أم عماره إلى عمود كانت تستظل به فاخذته بيدها ، وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس وعمر ابن الخطاب آخذ بيده فبايعهم على الموت ، وأول من بايع سنان ابن أبي سنان ووهب بن محض فقال يارسول الله أبايعك على ما في نفسك فكان رسول الله يبايع الناس على بيعة سنان (١)

وكان رسول الله يبايع الناس تحت الشجرة الخضراء

ورأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ،فاشتد رعبهم وخوفهم وضرب رسول الله بيده الأخرى

(١) ص (٢٩٠ و ٢٩١) من أمتاع الاسماع للمقريزى

وقال هذه بيعة عثمان .

* * *

ولما نفر الناس فى غزآة حنـــين من سهام المشركين التى استقبلوهم بها فى عماية الصبح وتفرقوا عن رسول الله ﷺ ناداهم الرسول بصوت العباس : يا أصحـاب بيعة العقبـة ، يا أصحاب بيعة الرضوان . . .

فما أن سمع الناس اسم البيعة ، حتى عادوا مسرعين يرددون يا لبيك يا لبيك . . .

الجنـدية

حب أصحابه له :

بلغ حب أصحابه له أن يخشى ثوبان فرقه رسول الله فى الآخرة وقد كان (ثوبان) شديد الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما شاحب اللون ، فسأله الرسول عن حاله فقال :

« يارسول الله ما بى من وجع غير إنى إذا لم أرك اشتقت واستوحشت وحشة عظيمة ، فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لأنى ان دخلت الجنة فانت تكون فى درجات النبيين فلا أراك فابتسم النبى .

وأنزل الحق قوله : « ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » .

ويبلغ من حب أبى أيوب أن يكبر عليه أن يقيم هو بالدور الأعلى ورسول الله ﷺ من أسفله وقد أقام عنده عند قدومه إلى المدينة .

ويروى قصته فيقول لما نزل رسول الله في بيتي نزل في الأدنى وأنا وأم أيوب في الأعلى، فقلت له يارسول الله : بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فأظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن فنكون في السفل .

فقال يا أبا أيوب أن أرفق بنا بمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت .

ولقد انكسر جبٌ لنا فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ، ما لنا لحاف غيرها ، ننشف بها الماء تخوفا من أن يقطر على رسول الله منه شيء فيؤذيه .

(٢) وأعرض عثمان عن أن يطوف بالبيت قبل رسول الله عند ما بعث به رسول الله إلى أهل مكة في الحديبية للتفاهم معهم عن أن المسلمين إنما جاءوا يقضون فريضة الحج وقد قالوا له : يا عثمان إن شئت أن تطوف بالبيت فطف

ـ ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله

(٣) وبذهب عمر ليستأذن رسول الله في أداء فريضة الحج

فيقول له الرسول : لا تنسنا يا أخى من دعائك فيقول : لم تطلع على شمس يوم أعظم من هذا اليوم

(٤) ويخشى أبى أيوب خالد الأنصارى على رسول الله ليلة عرسه بصفية ابنة حيى بن أخطب فيبيت حول خيمته متوشحا سيفه ، فلما أصبح الرسول وسأله مالك : قال خفت عليك من هذه المرأة وقد قتلت أباها وزوجها .

(٥) وتطوى أم حبيبة ابنة أبى سفيان وزوج النبى فراش رسول الله عن أبيها فلما سألها : أطوته رغبة بأبيها عن الفراش ام رغبة بالفراش عن أبيها

قالت : هو فراش رسول الله وأنت رجل مشرك نجس فلم أحب أن تجلس عليه

قال : لقد أصابك يا بنية بعدى شر كثير

(٦) يقول سعد بن عباده وهو يتكلم قبل بدر

يارسول الله : انا قد خلفنا من قومنا قوما ما نحن باشد حبا لك منهم ، ولا أطوع لك منهم ، لهم رغبة فى الجهاد ونية

ولو ظنوا يارسول الله انك ملاق عدوا ما تخلفوا ولكن إنما ظنوا أنها العير

يارسول الله : نبنى لك عريشا فتكون فيه ونعد عندك رواحلك ثم نلق عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا عليه كان ذلك ما أحببنا وأن تكن الأخرى جلست على رواحلك فلحقت بمن وراءنا

وهكذا يبرز فى تاريخ الرسول جلال ذلك الحب واخلاص المسلمين الذين تخلفوا عن بدر وهم الذين ما أخلفهم إلا أنهم ظنوا أن الأمر أمر غنيمة وليس أمر حرب وقتال للعدو

(٧) ولكن سعد يمضى فى بيعته لرسول الله ، وقد كان الرسول قصد إلى أن يسأله عن رأيه ورأى أصحابه وموقفهم من أمر المسلمين وهم قد بايعوا على النصرة فى داخل المدينة فيقول:

إننا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به حق فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يانبي الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه

معك ما بقى منا رجل . وصل من شئت وأقطع من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت وما أخذت من أموالنا أحب الينا مما تركت والذى نفسى بيده ما سلكت هذا الطريق ومالى بها علم وما نكره أن نلق عدونا ، وانا لصبر فى الحرب صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا بعض ما تقر به عيناك

(٨) وهذا صهيب ، لما أراد الهجرة من مكة ، قال له كفار قريش : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذى بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون هذا

وتبلغ حماسة إيمانه بدعوته وحبه لرسوله وقائده وصدق جنـــديته أن يقول لهم : أرأيتم أن جعلت لكم مالى ، أتخلون سبيلى ؟

قالوا : نعم قال فانى قد جعلت لكم مالى . قال فبلغ ذلك رسول الله فقال ربح صهيب . . ربح صهيب .

(٩) وبلغ من حب عثمان بن مطعون لقيادته ودعوته ، ان

رد جوار الوليد وقال له ياأباعبد شمس :وفت ذمتك وقدرددت اليك جوارك .

قال الوليد : ياابن أخي ، لعله آذاك أحد من قومي .

قال عثمان : لا ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن استجير بغيره .

قال الوليد : فانطلق بنا الى المسجد فاردد جواري علانية كما أجرتك علانية.

وما لبث أن أخذ لبيد بن ربيعة ينشد في قريش : الا كل شيء ماخلا الله باطل قال عثمان صدقت قال : وكل نعيم لامحالة زائل قال كذبت : نعيم الجنة لايزول أبداً فلطمه لبيد على عينيه فاخضرت .

فقال له الوليد لقد كنت في غير حاجة الى ماحدث لك لو بقيت في جواري . قال عثمان والله ان عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ماأصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر .

ومن صورة الجندية الصادقة ماصنع عمير بن عدى الأعمى فقد كان يغيظه أنه تؤذى عصماء بنت مروان رسول الله وتعيب الاسلام فنذر عمير ، ائن رد رسول الله من بدر الى المدنية ليقتلنها ، فلما رجع ﷺ من بدر جاءها ليلا حتى دخل عليها بيتها وكان ضرير البصر ونحى الصبى عنها ، ووضع سيفه فى صدرها حتى انفذه من ظهرها وأتى فصلى الصبح مع النبى فلما انصرف نظر الرسول اليه وقال : نصرت الله ورسوله ياعمير فقال : هل على من شىء من شأنها قال الرسول : لاينتطح فيها عنزان.

قال لأصحابه : اذا أحببتم أن تنظروا الى رجل نصر الله ورسوله بالغيب فانظروا الى عمير بن عدى قالوا ياعمير ، أنت قتلتها قال نعم فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون فوالذى نفسى بيده لو قلتم ماقالت لضربتكم بسيفى هذا حتى أموت أو أقتلكم

(١٢) أما أبو دجانة فقد ترس عن رسول الله بظهره فى (أحد) والنبل يقع عليه من كل مكان وهو لايتحرك .

(١٣) وبلغ ذلك الايمان الصادق وهذه الجندية الصادقة أن عبد الرحمن بن أبى بكر التقى بأبيه فى بدر فاعرض عنه عبدالرحمن فيقول له أبو بكر لو رأيتك مااعرضت عنك .

(١٤) ولماااعتقل المشركون خبيبا قالوا له أتحب أن محمداً مكانك وأنت جالس فى بيتك . فيقول والله ماأحب أن تشوك محمداً شوكة وهو فى مكانه . فلما هُدد بالقتل ، قال والله أن قتلى فى الله لقليل فجعلوا وجهه من حيث جاء فقال ماصرفكم وجهى عن القبلة ، ودار بوجهه وقال اللهم إنى لا أرى إلا وجه عدو ، اللهم ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عنى السلام فبلغه أنت عنى السلام .

١٥) وبلغ من أتباع الرسول له أن كانوا يرون رأيه فى كل أمر هو الرأى ، ولما غنم المسلمون بنى النضير بعث رسول الله إلى الأنصار وخطبهم وذكرهم بما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم فى منازلهم وايثارهم على أنفسهم .

ثم قال ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ماأفاء الله على

بنى النضير وكان المهاجرون على ماهم عليه من السكنى فى مساكنكم وأموالكم ، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دياركم .

فيقول سعد بن عباده وسعد بن معاذ: يارسول الله بل تقسم للمهاجرين وتجعلهم فى دورنا كما كانوا ونادت الأنصار رضينا وسلمنا برسول الله .

١٦ ـ أسلم حمزة على أثر حادث أزعجه ، هو ايذاء أبى جهل لرسول الله فلما علم بما أصاب ابن أخيه ملأه الغضب وذهب الى الكعبة ولم يقف مسلما على من كان حوله كعادته ، بل قصد إلى إلى أبا جهل فدفعه بالقوس فشج رأسه ثم راح يعلن اسلامه .

١٧ ـ وبلغت فدائية الأتباع للقيادة واخلاصها إلى مايصوره موقف على ليلة الهجرة ، فقد كانت قريش تتآمر بالرسول وقد أعدت الخطة لقتله ، فما يلبث أن يتسجى ببرد الرسول الأخضر ويبيت على فراشه ولا يبالى أن يفعل به هؤلاء فعلتهم ، بل لعله كان يباليها ويود أن يكون فداء رسول الله .

١٨ ـ ومثل هذا موقف أبى بكر فى الغار حينما كان يزعجه وقع

أقدام الباحثين عن رسول الله وهو معتصم بالغار فيقول الرسول لأبى بكر : لاتحزن أن الله معنا ، ماظنك باثنين الله ثالثهما .
فيجيب أبى بكر : ان قتلت فانما أنا رجل واحد ، وان قتلت أنت هلكت الأمة .

فيردد الرسول قوله ، لاتحزن ان الله معنا .

١٩ - ولقد بلغ بأبى بكر حبه ووفاءه للقيادة مبلغا لايدانى فقد كان يستأذن فى الهجرة فيستأخره الرسول ويقول له انتظر لعل الله يجعل لك صاحبا . ولقد دفعه ذلك التوجيه أنه سيكون رفيق رسول الله - فاشترى دابتين وأخذ يعدهما .

حتى جاءه رسول الله فى الهاجرة فى ساعة كان لايأتى فيها فلما رآه أبو بكر قال : ماجاء رسول الله هذه الساعة إلا لأمر حدث .

قال : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره (قالت عائشة) فجلس رسول الله وليس عند أبى بكر إلا أنا وأختى أسماء .
فقال رسول الله : اخرج عنى من عندك .

قال : يارسول الله هما ابنتاى وما ذاك فداك أبى وأمى .

قال : أن الله قد أذن لى فى الخروج وفى الهجرة

قال أبو بكر : الصحبة يارسول الله .

قال : الصحبة .

قالت فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى يومئذ .

قال الصديق : يانبى الله ان هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . فانطلق هو ورسول الله الى غار ثور . وجعل عبد الله بن أبى بكر يقضى نهاره فى قريش حتى إذا أمسى أخبرهما الخبر ، وبقى عامر بن فهيرة يرعى أغنامه ثم يريحها عليهما (يأتيهما) إذا أمسى فى الغار .

٢٠ ـ وجاء جابر فى غزوة الخندق وقد رأى رسول الله خميصا فأتى امرأته فأخبرها ما رأى من خمص رسول الله ، فقالت والله ماعندى شىء إلا هذه الشاه وقدح من شعير قال فاطبخى واصلحى ، فطبخوا بعضها وشووا بعضها ،

وخبزوا الشعير .

فأتى جابر إلى النبي فقال : يارسول الله قد صنعت لك طعاماً فأت أنت ومن أحببت من أصحابك فشبك رسول الله أصابعه بين أصابع جابر وقال : ناد في الناس .

وهكذا بلغ بجابر حبه لرسول الله أن يدعوه إلى طعام وقد رأى خمصه ، ولكن رسول الله كان أكبر حبا فقد دعى كل من الخندق وقال : أجيبوا جابر يدعوكم ، فاقبلوا معه .

٢١ - وقدم الناس رسول الله عن أهليهم دون أن يترددوا. عاد مصعب بن عمير الى مكة فبدأ برسول الله فأرسلت اليه أمه تقول : أتقدم بلدا أنا فيه لاتبدأ بي فقال ما كنت لأبدأ بأحد قبل رسول الله فخاصمته ولكنه كان مقتنعا بأن رسول الله أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأهليهم .

٢٢ - وبلغ الأمر أشد من هذا فقد طلب رسول الله إلى المسلمين بعد أحد أن يخرجوا وأرسل اليهم من يقول أن رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال بالأمس

فقال أسيد بن خضير وبه سبع جراحات يريد أن يداويها سمعا وطاعه لرسول الله ولم يعرج إلى دواء . وفى غزاة بنى قريظة نادى منادى رسول الله : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة والناس فى المسجد يوقدون النيران يتكمدون بها الجراح فما لبثوا أن تركوها وأنصرفوا إلى أمر رسول الله .

تلك هى الجندية كما عرفها أصحاب رسول الله حب وفداء وتسليم للقيادة . وهى هى بعينها عدة كل دعوة تستمد من دعوة رسول الله وتمضى على نهجها ولن يستطيع اتباع الدعوات أن يثبتوا صحة انتسابهم الا إذا كانوا على غرار هؤلاء الاتباع الذين سبقوا بالمثل والقاعدة .

فطبقوا هذه المعانى على أنفسكم أيها العاملون فى الدعوات وانظروا أين أنتم من الجندية المخلصة المؤمنة .

بين القيادة والجندية

جمع فى رسول الله بين حق الأبوة وحق الأستاذية وحق القيادة على أتباعه وأنصاره وأصحابه جميعا . وجعل حبه أكبر من حب الانسان لأهله ونفسه ، والذين آمنوا أشد حبا لله . وثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أولها أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

ولما قال عمر للرسول أنه لايزيد عنده حب أحد بعد نفسه إلا رسول الله قال له الرسول : حتى أكون أحب اليك من نفسك . فلما أجاب عمر بأن رسول الله أحب اليه من نفسه التى بين جنبيه قال الرسول : الآن ياعمر .

ويؤكد الحق هذا المعنى فى قوله تبارك وتعالى : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ، بل لقد بلغ الأمر الى أشد من هذا وأخطر اذ فاصل الحق تبارك وتعالى بين المؤمنين من

أتباع الدعوة فى حبهم لله ولرسوله وحبهم لأهليهم وأموالهم فى بيان صريح فيه تهديد ووعيد فقال جل شأنه : قل إن كان (١) آباؤكم (٢) وأبناؤكم (٣) وإخوانكم (٤) أزواجكم (٥) وعشيرتكم (٦) وأموال اقترفتموها (٧) وتجارة تخشون كسادها (٨) ومساكن ترضونها : أحب اليكم من الله ورسوله ، فتربصوا .

وفى هذا تفصيل واضح للمفاصلة بين القيادة والأهل وتقديم صريح لله ولرسوله ليكونا فى الدرجة الأولى من التقدير وليس من شك أن (الجندية) التى تتكامل فيها شروطها من الاخلاص والحب للقيادة وتقديمها على النفس والأهل وافتدائها والبذل فى سبيلها والذود عنها ، هذه الجندية ليست إلا قدرة من القيادة وقوة على صياغة الجنود ، فالجندية هبة من مواهب القيادة قبل أن تكون صفة من صفات الأتباع .

وقدرة الداعية أو المصلح هى التى تحمل الجندى على الايمان والثقة والاتباع وهى التى تكيف الاستعداد فى نفسه لذلك وتوجهه اليه .

لما أذن رسول الله لعمر فى الدخول اليه فى (جامعه الأرقم) خشيه الصحابة ، فنهض اليه الرسول حتى لقيه بالحجره فأخذ نحجزته أو بمجمع ردائه ، ثم جبذه جبذة شديدة وقال : ماجاء بك يا ابن الخطاب ؟

فوالله ما أرى أن تنتهى حتى تنزل بك قارعة .

قال عمر : يارسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله . وبما جاء من عند الله . فكبر رسول الله تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه ان عمر قد أسلم .

بين هذا اللقاء لعمر وبين لقاء رسول الله لعدى بن حاتم الطائى فوارق بقدر الاختلاف فى شخصيتى الرجلين وفى مواجهة القيادة لكل منهما .

يروى عدى بن حاتم الطائى : دخلت على محمد وهو فى المسجد فسلمت عليه فقال من الرجل .

فقال عدى بن حاتم .

فقام وانطلق بى إلى بيته فوالله انه لعامد بى اليه إذ لقيته

امرأة صعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف طويلا ، تكلمه في حاجتها .

قال فقلت والله ما هذا بملك .

قال ثم مضى بى رسول الله حتى اذا دخل بيته تناول وسادة من آدم محشوة ليفا فقدمها الى فقال : اجلس على هذه

قال فقلت بل أنت فاجلس عليها قال : بل أنت ، فجلست عليها وجلس رسول الله على الأرض .

قال فقلت فى نفسى والله ماهذا بأمر ملك .

ثم قال : ايه ياعدى بن حاتم : ألم تك ركوسيا فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك .

قلت أجل والله وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم مايجهل .قال: لعلك ياعدى انما يمنعك من دخول هذا الدين ماترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لايوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان

فى غيرهم ، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم : فاسلمت .

هكذا حدثه الرسول وأحاطه بذلك الجو . وتلك موهبة القياده فى اقناع الأنصار بالمظهر وبالقوة وبالحديث وليست فرضية الحب التى أشار اليها القرآن الكريم قائمة يوما ما على أساس تجاوب روحى قوى ألهب النفوس والأرواح وأثار فيها عاطفة الحب ممتزجة بالتقدير والأكبار .

وكذلك الأنبياء والمصلحون يجمع الله لهم القلوب لتكون لدعوته قوة وعدة .

وقد سن القرآن قواعد التعامل مع القيادة ووضع آدابا مقررة فنهى عن .

١) رفع الأصوات فوق صوت النبى .

٢) ونهى عن الجهر له بالقول كجهر البعض للبعض .

٣) ونهى عن المناداة من وراء الحجرات (ولو أنهم صبروا

حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم)

٤) وأمر بالاستئذان (وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه) وجعل مقياس الحب والوفاء والاخلاص للقيادة مشروطا بهذه الشروط (ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم)

ويتبع الحب العميق الصادر عن الاخلاص والثقة والتقدير والناتج عن المقاربة التى تكشف للجندى التابع المريد حقائق الأمور ، هذه الحقائق التى تتجلى فى بساطة الداعى ، ومجافاته لمتع الحياة ، واكتفائه بالقليل من الملبس والمأكل ، وانقباضه عن المطامع وفنائه فى العمل ، وقدرته الخارقة على مواجهة التيارات والأزمات ، وصلابة عوده فى مقاومة المجهود الطويل دون تعب أو ملل ، كل هذه المعانى التى يلمسها الجندى من قيادته يدفعه فى أغلب الأمر الى الاقتداء والاهتداء ، وقد عرف عن

صحابة رسول الله أن هواهم كان دائما تبعا لما جاء به وقد كان أحدهم يكشف عن صدره كما رأى الرسول ، ويظل كذلك حياته وكان إذا سئل قال والله ما أغير صورة رأيت عليها رسول الله .

وكان عبد الله بن عمر يدور بدابته فى مكان كان يدور فيه رسول الله . وكان فلان وله شعر طويل يقول : لقد قبلنى فيه رسول الله فكرهت أن أعفيه وأحببت أن ألقى الله به .

وكان خالد يلبس قلنسوة ضفرها من ناصية رسول الله وكان يبلغ به الغضب مبلغه اذا ضاعت عنه . ولم يقصر ذلك الحب بين الاتباع والقيادة على هذا النوع من الأتبّاع ، فقد بلغ أوجه فى الاخلاص والعمل والبذل فقد أحب هؤلاء الأتباع رسول الله وفضلوه عن أهليهم وأبناءهم دون تحرج أو تردد .

جاء أبو بكر بماله كله وجاء عمر بنصف ماله وقال الرسول

وفى غزاة العسرة لأبى بكر: ماذا أبقيت لعيالك قال : الله ورسوله، وقال عمر ما استبقنا إلى الخير مرة الا سبقنى اليه وحمل العباس تسعين ألفا وحمل عبد الرحمن مائتى أوقية وتصدق عاصم بتسعين وسقا تمر - وجهز عثمان ثلث الجيش ثم جاء بألف دينار فافرغها فى حجر النبى فجعل يقلبها ويقول : ماضر عثمان مافعل بعد هـذا اليوم .

يقف رسول الله مع أصحابه موقف القيادة التى تمد جناحيها على عواطف الابوة والاخوة والصداقة والحب والعطف والعفو وتفيض فى هذه الجوانب حتى لاتدانى .

مر رسول الله على مصعب بن عمير وهو مقتول فى بردة فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حله ولا أحسن لمـه منك ، ثم أنت أشعث الرأس فى بردة مرقعة .

وبكى رسول الله لما كان فيه مصعب من النعمة

وفى الغزوات كان رسول الله يسأل عن أصحابه ويعرف

أمرهم وهو الذى قال فى غزوة من الغزوات .

من رجل ينظر إلى مافعل سعد بن الربيع أفى الأحياء هو أم فىالأموات . فقال رجل من الأنصار ، أنا أنظرلك يارسول الله ـ مافعل سعد ، فنظر فوجده جريحا فى القتـلى وبه رفق قال فقلت له : أن رسول الله قد أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات .

قال : أنا فى الأموات ، فابلغ رسول الله عنى السلام ، انه لاعذر لـكم عند الله ان خلص الى نبيكم صـلى الله عليه وسـلم وفيكم عين تطرف .

وفى غزوة العسرة (بتوك) عند مامضى رسول الله من ثنيه الوداع جعل يتخلف عنه قوم فيقولون يارسول الله : تخلف فلان .

فيقول دعوه فان يك فيه خير يلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

وابطأ أبو ذر من أجل بعيره فقد كان نضواً أعجف ثم عجز . فتركه وحمل متاعه على ظهره وسار ماشيا وحده في حر شديد حتى لحق رسول الله نصف النهار ، وقد بلغ منه العطش فقال الرسول : مرحباً بأبي ذر ، يمشي وحده ويموت وحده ، ويبعث وحده : ماخلفك ؟

فأخبره بخبر بعيره ، فقال الرسول : إن كنت من أعز أهلي على تخلفا ، لقد غفر الله لك بكل خطوة ذنبا إلى أن لقيتني .

وتبدو هذه الرحمة النبوية ، والعفو المحمدي في حادث حاطب ابن أبي بلتعة .

يقول علي (بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه فانطلقنا حتى أتينا روضة خاخ ، فقلنا اخرجي الكتاب قال مامعي كتاب ، فقال لتخرجن الكتاب أو لننزعن الثياب .

فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا

فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمراً من أمر رسول الله ، فقال ياحاطب ماهذا قال يارسول الله لاتعجل على : أنى كنت امرؤا ملصقا فى قومى ، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهليهم فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الاسلام ، ولا ارتدادا عن دينى .

قال رسول الله : انه صدقكم

قال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق .

فأجاب رسول الله : أنه شهد بدراً ، ومن يدريك لعل الله عز وجل أطلع على أهــــل بدر فقال : اعملوا ماشئتم فقد غفرته لكم .

وتلك حكمة القيادة ورحمتها ومغفرتها فى أخطر الأمور التى تتعلق بسلامة بناء الجماعة

وتتمثل القيادة فى غير هذا الحب ، تتمثل فى ذلك الكتمان لخطط العمل والحرب .

لما خرج رسول الله فى فتح مكة ، تجهز الناس من غير أن يعرفوا وجهتهم ، فلما نزل رسول الله بالوج (مكان) والناس لا يدرون أن يتوجه .

أالى قريش أم إلى هوازن أم إلى ثقيف .

أتى كعب وأنشد شعرا ليعلم الوجه فتبسم الرسول ولم يزد ، تلك هى القيادة فى كتمانها ، وتلك هى الجندية فى استجابتها دون أن تسأل إلى أين فهى قد بايعت على أن تكون لله ولرسوله خالصة مخلصة

وتتمثل الجندية عند مارأى المؤمنين الاحزاب فى غزوة الخندق وقد رمتهم العرب عن قوس واحدة .

قالوا : هذا ماوعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما .

وتتمثل القيادة فى توجيهات معينة يصدرها القائد لجندى معين يريد بها أن يصل إلى شيء من نفسه مثال ذلك أن يرسل الرسول أبا سفيان إلى الطائف ليحطم الأصنام وتلك لفتة بارعة إذ أن أبا سفيان كان أعدى أعداء الاسلام فيما قبل بقليل

وبلغت مكانة القيادة فى نفس الرجل الثانى فى الدعوة الاسلامية مبلغا ، فقد كان الصديق قبل الدعوة صديقا للرسول ولم يكن يكبره الرسول إلا بسنتين ومع ذلك فقد تحولت هذه الصداقة إلى جندية ، فيها كل علامات الاتباع الصادق من غض الصوت والبذل والحب .

وبلغت فى نفس زيد بن حارثة الذى فقد أباه ، أنه أبى أن يرجع اليه بعد أن عاد من غيابه وقدم عليه رسول الله عليه ولم يفضل به أحداً .

وحين عرض رسول الله على الصديق أن يزوجه ابنته طفق يسائل ، هل يجوز أن يزوج ابنته للرسول وهو أخوه وهل

يصح هذا الوضع، وقد قال الرسول يزكي اخلاص الصديق وفدائيته (ما أحد أعظم يدا عندى من أبى بكر ، واسانى بنفسه وماله وانكحنى ابنته) ويتجلى هذا المعنى جارفا قويا فى فرحة بلال يوم موته وقد أخذ يهتف فى شوق وحنين : غدا القى الأحبة محمدا وصحبه .

ولم يكن ذلك الحب غريبا ولا عجيبا ، ولم يكن فى حكم العقل وتكييف الوقائع أن لا تصل العلاقة بين رسول الله فى قيادته والمسلمون فى جنديتهم الى أقل من هذا .

وليس كل ذلك بعجيب من المسلمين أزاء شخصية رسول الله الفخمة العارفة ، التى لا مثيل لها فى تاريخ العلاقات بين القادة والاتباع أو بين الزعماء والانصار .

فقد كان فى تصرفات رسول الله ومعاملته وسماحته واريحيته وبشاشته ما يفجر الماء من هذه القلوب المتحجرة الصلبة ويجعلها خليقة بأن تلين وتخفق وتحب وتصل فى ذلك إلى أبعد

حدود الوفاء والفداء .

كان ذلك القائد أبعد الناس عن مطامع الحياه فلا عجب أن يغرى ذلك أصحاب المثل العليا بالاعجاب برجل يعرض نفسه للحتوف والمخاطر والخصومات ويحتمل الأذى فى أشد صوره قسوة ومرارة فى سبيل فكرة لا مطمع من وراءها . كان يحلب شاته بيده ويرقع ملابسه ويخصف نعله . وقد عمل فى المسجد والخندق بيده وحمل التراب وجمع الحطب وكان يردف خلفه . ويكره أن يقوم الناس له ، ويجلس حيث انتهى به المجلس ، واذا مشى مشى الناس من أمامه وحوله . وكان يدخل الداخل الى المسجد فلا يعرف الرسول من بساطته بين أصحابه حتى يسأل أيكم النبى : هذا إلى بساطة فى الطعام والملبس وبشاشة فى المقابلة فلا ينزع يده حتى يكون الآخر هو الذى ينزعها ولا ينصرف حتى يكون محدثه هو المنصرف وإذا أشار إلى أخطاء الناس لم يذكرهم .

كل هذا إلى فصاحة ووسامة ودماثة وصباحه ، فهو الجواد حتى يسائل والحليم حين يستجهل والبار بمن يعاشر الى ثقة بالله فلا يقبل المساومة وهو فى حاجة إلى نصير واحد ولا مجاملة على حساب الدعوة مع وضوح فى الفكرة ونصاعه فى العبارة . وحرص على سلامة الجماعة وامتزاج روحى وعاطفى ، ومشاركة فى السراء والضراء كل هذا جمع القلوب حوله محبة مخلصة وفيه للقائد الأول وكل هذا ألف بين القلوب فى أخوه صادقة مؤمنة بالدعوة .

ولقد تنافس الحيان (الأوس والخزرج) على مرضاة رسول الله (لاتضع الأوس شيئا فيه عن رسول الله غناء الا قالت الخزرج والله لاتذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله فى الاسلام)

ولم تجتمع شبه الجريرة يوما فى تاريخها كله على زعيم الا على رسول الله ولم يكن مصدر هذه الزعامة إلا الصبر والفقر .

عن ابن عباس : دخل رسول الله يوم فتح مكة على أم هانى وكان جائعا فقال لها : أعندك طعام .

قالت (ان عندى لكسر يابسة ، وانى لاستحى أن أقدمها لك قال هلميها ، فكسرها فى ماء وجاءته بملح ، فقال : مامن أدام قالت ماعندى إلا شيء من خل فقال هلميه فلما جاءت به صبه على طعامه فأكل منه ثم حمد الله وأثنى عليه وقال (نعم الا دام الخل يا أم هانى لا يقفر بيت فيه خل)

هذه مائدة رسول الله يوم الفتح الأكبر ، يوم النصر والظفر وانفاذ أمر الله . .

لم يكن عجيباً اذن أذاء هذه الشخصية التى تبعث على الحب والهيبة من أن يقف من رسول الله أمثال عمر وخالد وعمرو والزبير وطلحة وأبو بكر وكلهم من ذوى الحجى والعقول الراسخة، موقف الجندية والفدائية فقد كان هؤلاء من ذوى الأقدار

الضخمة فى عشائرهم وأهليهم ولكنهم كانوا مع القيادة جنودا مخلصين .

ولقد أسلم خالد وهو من أبطال قريش المغاوير ولكنه أنضوى جنديا صغيرا فى الصف ولم يتسلم القيادة إلا بعد أن جاء دوره الطبيعى .

صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ورحم هؤلاء الصفوة من الاتباع المخلصين وجعلنا ممن يقتفون آثارهم ليكونوا على نهجهم حتى يكون لدعوتنا شأن الدعوة الاسلامية الأولى قوة وانتاجا .

٦٧
٦٤
٦٥
٩٧

٢٥٠